الرسالة

(٢ بط ١: ١٠-١٩)

يا إخوةُ اجتهدوا أن تجعلوا دعوتَكم وانتخابَكم ثابتَين. فإنَّكم إذا فعلتم ذلك لا تزلُّون أبداً* وهكذا تُمنحون بسخاءٍ أن تدخلوا ملكوتَ ربّنا ومخلِّصِنا يسوع المسيح الأبديَّ* لذلك لا أهملُ تذكيركم دائماً بهذه الأمور وإن كنتم عالمين بها وراسخين في الحقّ الحاضر* وأرى من الحق أنّي ما دمتُ في هذا المسكن أُنهضكم بالتذكير* فإنّي أعلمُ أنَّ خلعَ مسكني قريبٌ كما أعلنَ لي ربُّنا يسوع المسيح* وسأجتهدُ أن يكون لكم بعد خروجي تذكُّرُ هذه الأمور كلَّ حينٍ* لأنَّا لم نتَّبعْ خرافاتٍ مصنَّعةً إذ أعلمناكم قوَّةَ ربّنا يسوع المسيح ومجيئَهُ بل كنا معاينين جلالَهُ* لأنَّهُ أخذ من الله الآب الكرامةَ والمجدَ إذ جاءَهُ من المجد الفخيم صوتٌ يقول هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررت* وقد سمعنا نحن

التجلّي

لذكرى التجلّي في الكنيسة هدفان: الأوّل هو تذكّر الحدث الخلاصيّ، والثاني المشاركة في هذا الحدث. ففي سرّ الشكر مثلاً، أي القدّاس الإلهي، نتذكّر ما فعله الربّ يسوع في العشاء الأخير مع تلاميذه، وكيف كسر الخبز وأعطاهم جسده، وبارك الكأس وسقاهم دمه. هكذا إذ نقبل هذا الحدث الخلاصيّ نصير مشاركين فيه، فنقول «إقبلني اليوم شريكًا في عشائك السرّيّ يا ابن الله». هذا ما يحصل اليوم في عيد التجلّي. نحن نتذكّر الحدث الخلاصيّ من خلال قراءة الفصل الإنجيليّ الذي يذكر تجلّي الربّ يسوع بمجده أمام تلاميذه، وإذ نقبل هذه الحدث نصير مع التلاميذ في السحابة، ونسمع صوت الله الآب «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررتُ، فله اسمعوا».

المسيحيّ لا يتوقّف فقط عند المشاركة في الحدث، بل هو مدعوّ إلى الانطلاق في حياته ليعيش بناء على الدعوة التي يدعوه إليها الربّ يسوع. فعندما يعلن الربّ يسوع ذاته لنا يدعونا إلى السلوك بحسب وصاياه. هكذا إنّ تعييدنا لعيد التجلّي هو بمثابة شحن لبطارية إيماننا لنتابع مسيرتنا في الحياة مع الله. هذا ما نلاحظه في فصل الرسالة الذي يُقرأ اليوم على مسامعنا، من رسالة بطرس الرسول الثانية (٢بط١: ١٠-١٩)، حيث يذكّر الرسول بطرس سامعيه بما علّمهم إياه، حتّى يمنحهم الربّ الدخول إلى ملكوته: «يا إخوةُ اجتهدوا أن تجعلوا دعوتَكم وانتخابَكم ثابتَين. فإنَّكم إذا فعلتم ذلك لا تزلُّون أبداً وهكذا تُمنحون بسخاءٍ أن تدخلوا ملكوتَ ربّنا ومخلِّصِنا يسوع المسيح الأبديَّ. لذلك لا أهملُ تذكيركم دائماً بهذه الأمور وإن كنتم عالمين بها وراسخين في الحقّ الحاضر وأرى من الحق أنّي ما دمتُ في هذا المسكن أُنهضكم بالتذكير فإنّي أعلمُ أنَّ خلعَ مسكني قريبٌ كما أعلنَ لي ربُّنا يسوع المسيح وسأجتهدُ أن يكون لكم بعد خروجي تذكُّرُ هذه الأمور كلَّ حينٍ» (١: ١٠-١٥).

يتأكّد لنا ذلك أكثر إذا قرأنا المقطع الذي يسبق من هذا الفصل، حيث يعلن الرسول بطرس أنّ الله وهبنا كلّ ما يلزم للحياة والتقوى، على أن نسلك

العدد ٣٢ / ٢٠١٧

الأحد ٦ آب

تجلّي ربنا وإلهنا ومخلّصنا

يسوع المسيح

وفق الدعوة التي دُعينا إليها بالمجد والفضيلة، لكي نصير شركاء الطبيعة الإلهيّة: «كما أَنَّ قُدرَتَهُ الإِلـهيَّة قد وهبت لنا كُلَّ ما هو للحياةِ والتَّقوى، بمعرفةِ الذي دعانا بالمجد والفضيلة، اللذين بهما قد وهب لنا المواعيدَ العظمى والثَّمينة، لكي تصيروا بها شركاء الطَّبيعة الإلهيَّة، هاربين من الفساد الذي في العالم بالشَّهوة. ولهذا عَيْنِهِ وأُنتم باذِلونَ كُلَّ اجتِهادٍ قَدِّمُوا في إيمانكم فضيلةً، وفي الفضيلة معرفةً، وفي المعرفَةِ تَعَفُّفًا، وفي التَّعَفُّفِ صبْرا، وفي الصَّبْر تقوى، وفي التَّقوى مَوَدَّةً أَخَويَّةً، وفي الْمَوَدَّةِ الأَخَويَّةِ محبَّةً. لأَنَّ هذه إذا كانت فيكم وَكَثُرَتْ، تُصَيِّرُكُمْ لا مُتَكَاسِلِينَ ولا غير مُثْمِرِينَ لمعرفةِ ربِّنَا يسوعَ المسيحِ» (١: ٣–٨).

في أكثر الأحيان يكون موقفنا نحن المؤمنين مثل موقف بطرس. في كلّ مرّة يكون فيها مع الربّ ويُظهِر له الربّ قدرته، نراه يحيد في فكره عمّا يجري لينظر إلى نفسه، أي يرى الأمور من منظاره هو وليس من منظار الربّ، فيقع في الخوف. في حادثة المشي على الماء مثلاً، ابتدأ بطرس بتنفيذ أمر الربّ، فأتى إليه ماشيًا على وجه الماء، لكنّه ما لبث أن ابتدأ ينظر إلى نفسه، فخاف وكاد يغرق (مت ١٤: ٢٨–٣٣). كذلك الأمر عند محاكمة الربّ يسوع. فعلى الرغم من تحذير الربّ لبطرس بأنّه سينكره ثلاث مرّات، وعلى الرغم من تأكيد بطرس أنّه لن ينكر الربّ حتّى ولو اقتضى الأمر أن يموت مع الربّ يسوع (مت ٢٦: ٣١–٣٥)، نجده خائفًا على نفسه لأنّه أشاح بنظره عن الربّ، وأدّى به الأمر إلى أن أنكر بقسم أنّه لا يعرفه (مت ٢٦: ٦٩–٧٥). وفي حادثة التجلّي نرى بطرس متحمّسًا عندما رأى وجه الربّ مضيئًا كالشمس، ورأى موسى وإيليا يتكلّمان معه، وأراد أن تبقى هذه الرؤيا دائمة: «يا ربُّ حسَنٌ أن نكونَ ههنا. وإن شئتَ فلنصْنَعْ ههنا ثلاثَ مظالّ واحدةً لك وواحدةً لموسى وواحدةً لإيليا» (مت ١٧: ٤). لكنّه عندما سمع صوت الآب معلنًا أن هذا هو ابني الحبيب الذي به سررتُ، له اسمعوا» (١٧: ٥)، سقط هو ورفيقاه على وجوههم وخافوا جدًّا (١٧: ٦).

اليوم ونحن نعيّد لعيد التجلي، ونشارك في هذا الحدث الخلاصيّ، إذ نرى الربّ متجلّيًا أمامنا، ووجهه مضيئاً لنا كالشمس، ونشاهد موسى وإيليا يتكلّمان معه، ونسمع صوت الآب السماوي يشهد للربّ يسوع أنّه ابنه الوحيد ويدعونا إلى أن نسمع له، كيف علينا أن نتصرّف؟ هل سنخاف مثل بطرس ويعقوب ويوحنّا، أم علينا أن ندرك أنّ الربّ يسوع هو من شهد له الأنبياء (موسى وإيليا يمثّلان الأنبياء) على أنّه المسيح المنتظر الذي سيخلّص شعبه من خطاياهم؟ هل سنسمع لصوت الآب السماويّ فنسمع للربّ يسوع ونسلك بحسب وصاياه، أم سنصمّ آذاننا عن سماع كلامه ونسلك وفق شهواتنا؟

هذا ما ينبّهنا إليه الرسول بطرس نفسه في رسالته الثانية. إنّه يدعونا إلى أن نصير شركاء الطبيعة الإلهيّة، هاربين من الشهوة التي تفسدنا (١: ٤)، وسالكين في الفضيلة وثابتين فيها (١: ٥–٧). يذكّرنا بكلّ هذه الأمور لكي لا نشكّ أو نتراجع أو نخاف، كما حصل معه، فإنّ إيماننا يرتكز على الكلمة النبويّة، أي على كلمة الله التي وصلت إلينا عن طريق الأنبياء، ولا يرتكز على تخيّلات بشريّة وخرافات لا أساس لها من الصحّة. إضافةً إلى هذا الصوتَ آتياً من السماء حين كنَّا معهُ في الجبل المقدَّس* وعندنا أثبتُ من ذلك وهو كلامُ الأنبياءِ الذي تُحسِنون إذا أصغيتم إليهِ كأَنَّهُ مصباحٌ يُضيءُ في مكانٍ مُظلمٍ إلى أن ينفجرَ النهارُ ويُشرقَ كوكبُ الصبحِ في قلوبكم.

الإنجيل

(متى ١٧: ١–٩)

في ذلك الزمانِ أخذ يسوعُ بطرسَ ويعقوبَ ويوحنا أخاهُ فأصعَدَهم إلى جبلٍ عالٍ على انفرادٍ وتجلَّى قدَّامهم وأضاءَ وجهُه كالشمس وصارت ثيابُه بيضاءَ كالنور* وإذا موسى وإيليا تراءَيا لهم يخاطِبانه* فأجاب بطرس وقال ليسوعَ يا ربُّ حسَنٌ أن نكونَ ههنا. وإن شئتَ فلنصْنَعْ ههنا ثلاثَ مظالّ واحدةً لك وواحدةً لموسى وواحدةً لإيليا* وفيما هو يتكلَّم إذا سحابةٌ نيّرةٌ قد ظلَّلتهم وصوتٌ من السحابة يقول هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررتُ فله اسمعوا* فلمَّا سمع التلاميذُ سقطوا على أوجُهِهم وخافوا جداً* فدنا يسوعُ إليهم ولمسهم قائلًا قوموا لا تخافوا* فرفعوا أعيُنَهم فلم يرَوا أحداً إلاَّ يسوعَ وحده*

وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلاً لا تُعلِموا أحداً بالرؤيا حتى يقومَ ابنُ البشر من بين الأموات.

تأمل

علينا أن نُطهِّر ذواتنا ونُنقّي سرائرنا ونجتهد في العمل بأقوال ربنا وننتظر سعادة الملكوت لنرى مجده الذي لا يوصف متجلّياً علينا لا في رأس جبل بل في حضيض من الأرض عندما يجلس على كرسيّ الدينونة. ولا مع ثلاثة من الناس بل مع جمهور من السمويين. وكيف يمكن أن نكون منتظرين سعادة الأبد وطائعين أوامر ربنا ونحن نغلق أبوابنا في وجوه المساكين ونسدُّ آذاننا عن استماع تضرُّع المحتاجين بل عن استماع أقوال الأنبياء والمُرسَلين أيضاً. لأنك إذا سمعت بولس يُبشّر ويوحنا ومتى يخبران بالعظائم التي للمسيح وأنت لا تُصغي إليهما فكيف تُصغي إلى سؤال الفقراء والمساكين. ويا للعجب من كونك إذا رجعت من دفن أخيك أو صاحبك تبادر إلى غسل يديك ورجليك وتصبُّ الماءَ على رأسك ولا تفعل كذلك إذا تنجست بالخطايا. وكيف لا تكون نجساً بالنفس والجسد حينما تصاحب الزواني والفاسقين والمرابين والسحرة والمنجمين. وتُعرِض عن تضرع كلام الأنبياء، أعلن الله نفسُه أنّ يسوع المسيح هو ابنه الحبيب (١: ١٦-١٩).

ما النتيجة من كلّ ذلك؟ هل نتوقّف عند مشاهدتنا الربّ مشرقًا لنا كالشمس، فنتلذّذ بهذه المشاهدة ونعتبر أنّنا مهمّون لأنّ الربّ تجلّى أمامنا؟ لم يأتِ الربّ يسوع إلينا لهذه الغاية. إنّه أظهر لنا ذاته لكي نقبله ونصير له تلاميذ أوّلاً، لكنّه بعد ذلك أمرنا بالذهاب إلى كلّ الناس لكي نصيّرهم بدورنا تلاميذ للربّ: «فاذهبوا وتلمذوا كلّ الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كلّ الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ١٩-٢٠). عندما يتجلّى الربّ أمامنا ونسمع كلامه يضيئُنا بنوره الإلهي فيجعلنا أنوارًا تضيء كلّ العالم وتنشر نوره: «وعندنا أثبتُ من ذلك وهو كلامُ الأنبياءِ الذي تُحسِنون إذا أصغيتم إليهِ كأنَّهُ مصباحٌ يُضيءُ في مكانٍ مُظلم إلى أن ينفجرَ النهارُ ويُشرقَ كوكَبُ الصبحِ في قلوبكم» (٢بط١: ١٩).

الإتّكال على الله

الصلاة حوارٌ مفتوح بين الله والإنسان، فيه يتمكّن المخلوق من التواصل مع سيّده. عندما يتحاور المرء مع كائنٍ آخر، إنّما يركّز على الحوار كي لا تضيع الأفكار ويخرج عن الموضوع ويصاب بالتشتّت الذهني. في الكنيسة يحصل هذا التشتّت أحياناً مع المؤمنين بسبب حفظ الصلوات غيباً، فيضيع المضمون وتتحوّل إلى مجرّد مردّدين للكلمات. من اللافت في هذا السياق واحدة من الجمل التي يذكرها النبي داود في المزمور الخمسين: «لتكن يا رب رحمتك علينا كمثل اتّكالنا عليك». قد تمرّ مراراً جملة كهذه من دون أن يتعمّق المؤمن فيها.

تدلّنا هذه العبارة على اهتمام الله الكلي بالبشر. داود الملك، مخاطباً الرب، يطلب إليه الرحمة كما هي حال المؤمنين في الكنيسة الذين يردّدون «يا رب ارحم» مرّاتٍ لا تحصى. إلاّ أنّ داود، مدركاً رحمة الرب، أيقن أنّ رحمةً كهذه تفترض تواضعاً بشريّاً. لا يطلب رحمةً أنانيّةً من الرب بل رحمةً توازي اتّكاله عليه. وكأنّ داود يضع شرطاً على ذاته بأن يتّكل على الرب إلى ما لا نهاية كي ينال رحمةً من لدن الرب لا تنضب.

في العلاقات الإنسانيّة يُسلِمُ العاشق ذاته لمعشوقه. يضع بذلك كلّ رجائه وثقته في هذا الشخص الذي يؤمّنه على حياته. يأتي هذا التسليم نتيجة الشعور بالأمان إلى جانب شخص يختاره الإنسان من بين كثيرين. إذاً تتخطّى علاقاتنا مستوى الإتّكال على الآخر لتبلغ حدّ التسليم لهذا الآخر. هذا في ما يتعلّق بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان المخلوق على صورة الله.

أمّا في العلاقة بين الخالق والمخلوق، بين الله والإنسان فتتأرجح هذه الصلة. تتراوح بين التسليم الكلّي لله وبين الإلحاد ورفض وجود الله حتّى كفكرة. المسيحيّ المؤمن يضع رجاءه على الله عملاً بقول النبي داود في مكانٍ آخر «الإحتماء بالرب خيرٌ من التوكّل على الرؤساء» (مز ١١٨: ٩). المؤمن يُسلِم ذاته ليس فقط للحبيب، بل إلى الله أوّلًا. فالعشق الإلهيّ مبادرةٌ من الله نحو البشريّة تجلّت في تجسّد الإله وقبوله الإهانات والصلب من أجل خليقته. أيّ تسليم من البشر لله هو تفاعلٌ مع هذا العاشق الذي عشق خليقته مضحّياً

بابنه وحيده الرب يسوع من أجل خلاص هذه الخليقة. أساس هذا العشق علاقة البنوّة المرتكزة على الإتّكال والرحمة.

هناك فارق في الكتاب المقدس بين الرحمة الإلهية والرحمة البشرية. يظهر لنا الرب يسوع هذا التباين في مَثَل العبد الذي أعفاه سيّده من دَيْنه لكنه لم يرأف بأخيه الذي كان مديناً له (مت ١٨: ٢٣–٣٥). العبد الذي يتّكل بشكلٍ يوميٍّ على سيّده بسبب ظروف حياته كعبدٍ، إنّما عفا عنه سيّده في أصعب الظروف ونال رحمةً لا تحصى إذ ترك له سيّده الدين. إلاّ أنّ ذاك العبد لم يتّعظ بل ظلم أخاً له إذ لم يعفُ عنه بما دان له. بعمله هذا لم يتّكل على الرب الذي أعانه في المحنة الأولى. وبسبب عدم الإتّكال هذا غابت رحمة الرب عنه وأعاده إلى حالته السابقة تحت نير العذاب. عندما كان هذا الإنسان متّكلاً على الله نال الرحمة والبركات بنيله العفو. لكنّه عندما لم يتّكل على الرب خسر الرحمة التي كانت معطاةً له.

تعتمد الرحمة الإلهيّة إذاً على الإتّكال على الرب. من لا يعرف الله ولا يتّكل عليه، ليس لديه سبيل لإدراك الله وتمييز رحمته إذا ما نالها. قال الرب يسوع في إنجيل لوقا بعد التطويبات «كونوا رحماء كما أنّ أباكم السماوي رحيم» (لو ٦: ٢٢). الرب يسوع لم يعطِ دروساً أخلاقيّة وفلسفيّة كالفلاسفة وأساتذة الإجتماع. لقد كان الرب نفسه الأيقونة والمثال في تعاليمه. إنّما عاش كلّ كلمةٍ قالها وهو ذاته اتّكل على الآب عندما كان على الأرض إذ قال «وأنا أعلم أنّك في كلّ حين تسمع لي» (يو ١١: ٤٢).

عندما يسبق الإيمان أيّ عمل، يكون العمل مباركاً بأضعافٍ. المسألة ليست مسألة رياضيّاتٍ وحساباتٍ إنّما المتّكل على الله ينال رحمةً وبركةً لا تحصى ولا يستقصى أثرها.

من أقوال الآباء

لا يمكن للإنسان المادي أن يفهم إنساناً روحياً. فكل ما يقوله الإنسانُ الروحي يراه الإنسان الماديّ وهماً وخيالاً لأن المنطق السماوي مختلفٌ بالكلية عن منطق هذا العالم، ورغم ذلك فإذا تحدث أحدهم إلى شخص ماديّ قد يستنتج بأن هناك في الحقيقة ما يحرِّك العالم، وأن هناك تناغماً في الكون وتنافراً على الأرض.

لذا فقد دُعي أبناءُ النور ليُشِّعوا بحياتهم إلى أقصى حدٍ ممكن، وينشروا النورَ في كل مكان. قال الرب: جئتُ لألقي ناراً على الأرض وكم أتمنى لو تكون اشتعلتْ» (لو ١٢: ٤٩). هذه النار هي الحبُّ الإلهي.

دُعينا نحن المسيحيين لننشر على الأرض مناخ السماء والأبدية والحب والسلام والحق والهدوء. لكن ذلك من الصعوبة بمكان لكوننا قد تعلَّمنا منذ فتوّتنا الغضب والعصيان وغدَونا معتادين على ردّ الضربات وعلى مقاربة كل الناس بقلة ثقةٍ وبتحفظ. لقد اقتبلنا في قلوبنا شرًّا كثيراً وعلينا الآن أن نتخلص منه.

القديس تداوس الصربي

المساكين. وأنت لا تصاحب الأشرار فقط بل تدعوهم إلى منزلك وتهتمُّ بحوائجهم وتشاركهم في أعمالهم الخبيثة. وإذا كان لك سعةٌ من المال وجاءك محتاج متضرّعاً إليك أن تفرج كربتهُ بأن تقرضه ما يقضي حاجتَه به فإنك تقابله أولًا بالاعتذار وثانياً بالجفاءِ والعبوسة. فإن رأيته قد زاد به القلق واشتدت لجاجته تقول له بوجهٍ عبوس أتريد ان اعطيك حنطةً أو حريراً ونحو ذلك. فإن رضي أعطيته الصنف بثمنٍ مضاعفٍ وكتبت عليهِ صكاً بالثمن فيخرج من منزلك وقد غمرتهُ أمواج الفكر وقيّدته حبال الحاجة. ثم لا يلبث زماناً يسيراً حتى تطالبه بالوفاء فإن أبطأ شكوتَه إلى الوالي فأمر بحبسه حتى يحتاج إلى بيع عمامته وثوبه وأمتعة بيته. أفرأيتَ عظم هذا الداء ورداءة جريرته. انَّ أخاك طلب منك إسعافاً فألقيتَه في السجن والاغلال. ويا للعجب من أولاد كنيسة الله وبني المواهب الجليلة الذين تدعوهم الشريعة إلى ترك الاهتمام بالمكاسب المحلَّلة بعد تحصيل كفاية المعيشة كيف صاروا ينهشون لحوم المساكين حراماً وينهبون بيوت الأرامل والأيتام كالبرابرة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb